وحي الدم المتحد

للأستاذ عبد المنعم محمد خلاف

لم تعد الوحدة العربية خيالاً تتنازله الأحلام في أفق بعيد ، ولا فكرة سطحية تطفو على عقل فحسب كما تطفو الفقاقيع ... وإنما صارت كوناً موجوداً وأمراً مجسداً له ذرية وأنسال يتوادون ويتظاهرون في المأساة وفي فرح الحياة ... وله دماء قرب منها مزيجاً مزجته الأقطار العربية وقدمته لحماية فلسطين من عابدي الذهب ... فللعروبة من ذلك قرة عين لأنها رأت على صفحة الدم المتحد صورة المجد القديم الذي أوشك الزمان أن يستدير بجدته ويقبل بدولته

أجل ! سلوا أشجارا يابسة وجذوعا جافة بشعاب فلسطين وبطون وديانها ، وقد حالت إلى الايراق والحياة : ما الذي نضَّر عودك ورد عهودك وأطال عمودك ؟ وستجيب : إنها الدماء التي لم أُسْقَها من عهد صلاح الدين ... الدماء التي مزجت أمشاجها فكرة إلهية فجعلت فيها إكسير الحياة حتى للاحجار والأشجار والمدروالوبر .. الدماء التي تسيل من الأسود والأبيض والأصفر والأحمر فتجمع خلاصة ما في الانسانية من إخاء ، وسرما في المسلمين من توحيد ... الدماء التي تطفىء ما للظالمين من نار ، وتجرف مالهم من آلات الهول والدمار ... الدماء التي تدخرها الحياة ثم تطلقها سيالاً طهوراً هداراً رجافاً يغسل الأرض ويحدث الانقلاب وينقل الانسانية إلى الأمام ... الدماء التي تحمل عناصر إخصاب الانسانية بالفكرة الالهية والحرية والاخاء والمساواة والعدالة والرحمة والسلام والبر والتعاون حتى تلد الأمهات أمثال ابن الخطاب وابن عبد العزيز والرشيد وصلاح الدين ...

* * *

يا فلسطين يا أرض النبوات ! تلك رسالة جديدة تهبط من شعاب جبالك ومن بين « التين والزيتون » مرة أخرى على قلوب العرب والمسلمين ، وقد كتبت بالدم الممزوج من نفوس تمثل أربعة أقطار من ميراث محمد بن عبد الله ... تحدث أهل الأرض الذين استحالت حياتهم إلى نوع من حياة الأوابد والفواتك لقبح الثقة وسوء الظن ، وشر المعاملة ، أن الاخوة الانسانية لا زال لها تحت جناح تعاليم محمد مكان تأرز إليه وتلوذ به ، وأن الأسرة التي كان يبغيها أبو البشر آدم على وداد وترابط وتضامّ حتى يكون له من ذلك معنى السمو على الأفق الحيواني ... لا زالت هي الأمة العربية المطبوعة على إجابة الصريخ وتلبية الدعاء ونصرة الضيف واحترام الجامعة ومعنى الدم . . .

* * *

يا أهل فلسطين ! إنكم عرفتم كيف تموتون عند الاقتضاء ، ولذلك لم تموتوا ! بل ضوعف فيكم سر الحياة لأنكم أمددتموه بالدم وفعال المجد وحسين البلاء . . بل لقد ضوعف بعملكم سر الحياة في العرب والمسلمين جميعاً ، وصار لهم منكم مثل جديد يضربونه مفتخرين بين يدي هذا الزمان على مسمع الأمم وبصر التاريخ .. وقد غدوتم في فم الزمان مثلاً شروداً وحديثاً مُرَدَّداً أنسى التاريخ خبر الاسبرطيين وأجناد الرومان والجرمان وغير أولئك من العصبة أولي القوة ! وقد أضفتم إلى مكتبة البطولة كتابا ضافي الصفحات واضح الغرات فرح به عشاق الأبطال وعارفو أقدار الرجال !

ومهما يكن عدد مستشهديكم الذين ساقوا إلى المعالي مهرها من صبيب الدم ومسفوك النجيع . . . ومهما يكن من سطوة القوة ، وعنف الظلم ، ووقاحة الطاغوت . . فان الدرس الذي تلقونه على المتآمرين على كسر شوكتكم وازدرادكم وهضمكم ، درس هائل مزق أعصابهم ، وأطار صوابهم ، ومحا خططهم ، وأفهمهم أنكم أعظم بأساً وأشد مراساً وأطول أنفاساً

« ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين . إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله »

يا صهيونيون ! كذب من الأحلام وخُدعة من الأماني أن تملكوا أرضاً تنكركم وتلفظكم . لقد سخرتم إلهكم الذهب في شراء سطوة أمة مخدوعة بكم أو خادعة لكم تتخذون منها آلة تهدم وطناً على أهله لتبنوا لكم على أنقاضه وطناً في عالم الأحلام ... وستبصرون وتبصرون : أينا المحروب المغلوب . فارتقبوا إنا مرتقبون ، « هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم

لأول الحشر ، ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله ، فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا ، وقذف فى قلوبهم الرعب ، يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين فاعتبروا يا أولى الأبصار » ، فروا من مجزرة أنتم شاؤها وأرانبها . . وكونوا أكيس من أن تبنوا لكم عشاً فى طريق الفيل . . أو تناموا بين فكى الأسد ... !

ثم هبوا أنكم غصبتم فلسطين من العرب ، فما هى ضمانات دوامها لكم وسط هذا البحر العربى الذى يكنفها ويلفها ويقذفها بموجه من الشمال والجنوب والشمال واليمين ؟ هى الحراب الحليفة لا شك . ولكن الحماة مواطنهم فى شمال الأرض ، وهم أمة لامناص من أن يلحقها داء الأمم وتدركها عقابيل الشيخوخة ، وحينذاك أو قبله بكثير يستيقظ الثأر الراقد ، وينهض الوتر الرابض ، ويتنادى أبناء الشرق عليكم ، فلو نفخوكم لأطاروكم ... فأيما أمانٍ وقرارٍ وقيمةٍ لبلد فقد أهم عناصر الاستيطان وهو الدوام ؟ !

ألا إنها خدعة عبقرية ، أو قل هى عصا القدر تسوقهم إلى شبكة محبوكة فاغرة لتصديق نبوءة النبى العربى الكريم[1] . « ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين » .

أيها المؤتمرون بتراث المروءة ! كلمة من شباب العرب والاسلام : إننا اعتزمنا أن نحيا أعز حياة وأمجدها ، مدفوعين إلى ذلك بوحى أرضنا أرض التاريخ والرسالات ، والميراث الروحى ، وبهتاف أبطالنا وأعلام تاريخنا ، تحيط بنا أفواج مجندة من أرواح الشرق التى نعيش معها ونلقن عنها ؛ ولن يعوق اندفاعنا عائق ، لأن عجلة الفلك تدفعها يد القدر ، وهى التى تدفعنا لنأخذ دورنا الثانى فى تنمية الميراث الانسانى وغسل الأرض . . .

ألا فافسحوا الطريق ولكم حسنة ، قبل أن تفسحوه وعليكم كلمة السوء ! فأننا عما قليل سيلٌ يتحدر من صبَب ، ونار تشتعل فى حطب ! « ومنذا يرد على الله القدر » !

عبد المنعم محمد خلاف

(١) ورد فى صحيح البخارى ما معناه : « تقاتلكم يهود فتقاتلونهم حتى يقول الحجر : يا مسلم ! ورائى يهودى فاقتله »

هولة ريفية

صحبة النهر المقدس

فى الطريق الريفى الملوّن بالأضواء والظلال لا تجد أجمل من رؤية النهر المقدس ، يشق الوادى الجميل ، فيُخضرُ بالخضرة طلعته ، ويزين بالعشب والشجر حافته ، وينفث من روحه فى الطير الحيساة ، ويطيف من حوله أرواحاً تغنى بجماله وتبتسم فى عذوبته !

ولقد مرّت قرون وقرون ، ومياه النهر تغنى للوجود أغنية الخلود ، وتغنى المخلوقات فى كر السنين ، ويبقى وجه الماء العذب الطهور تصافحه أضواءُ الشمس الذهبيسة ، وتباركه أنفاس الهواء ، فيملأ هذا الثالوث الطبيعى القلوب والعقول بشراً وصفاء وذكاء وحياة ! .

ويالها من قوى سحرية ، تُقوى الايمان بالخلود ، وتزيد الحب للوجود ، وتبعث الزهد فى الحياة ، وتمان فى الدنيا مجد الله !

ومن ذا الذى يمكنه أن يصف سحر النهر ؟ وكيف لأديب أو مفتنّ أن يصور روحاً من الأرواح عاشت من جودها الحقول ، وطفرت فى براءتها الطيور ، ورقصت فى دلالها الهوام رقصات الجنون !

ومن الغريب أن آلاف الأناسىّ تسير إلى جوار هذا الروح الهائل ، كظل من الظلال العابرة ، لا تهتز لجوده ، ولا تنحنى لبره ، ولا تهتف بجماله ، كأنما نضبت فيهم عاطفة الاعتراف بالجميل ، على حين كان الآباء الأولون يقدرُون للنهر أياديه ، فيقدمون له الهدايا ، ويحملون لصدره أعز الأرواح !

فلماذا لا نُزجى لهذا الماء الغنى هدايا الفن الحديث ، وقرابين القلب العارف النبيل ؟ وها هى ذى روح النهر تشدو بأنفاس الحنان ، وهاهى ذى أمواجه تتنفس البهجة والفرحة فى الحياة !

(بيت عمر)

مصطفى عبد اللطيف السحرتى
المحامى